اللغة العربية والتطورات اللسانية الحديثة

الأستاذ الدكتور صلاح الدين محمد شمس الدين، قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، كلية اللغات واللسانيات بجامعة مالايا، كوالا لومبور، ٥٠٦٠٣، ماليزيا

ملخص

- لا شك أن اللغة العربية المجيدة جديرة بالدراسة باعتبارها إحدى اللغات الحية في العالم.
- لاشك أن اللغة العربية هي جديرة بأن يدرسها كل مسلم، لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الطاهرة العطرة. فالذي يريد أن يدرس العلوم الإسلامية يجب أن يدرسها بلغتها، لأن القرآن والسنة هما مصدران أساسيان للتشريع الإسلامى.
- ودراسة اللغة العربية مهمة جداً ضمن دراسات اللغات الأجنبية، لأن دراسة اللغات المختلفة تعلم الإنسان العلوم والفنون والآداب بأنواعها المختلفة، ولولم نركب هذا الموكب الحضارى للثقافات البشرية في العالم اليوم نتخلف من مسيرة الأمم والشعوب.
- ودراسة العربية مهمة جداً لمطالعة مسيرة الإسلام والمسلمين بين مد وجزر، وخاصة لمعرفة ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأن هذه اللغة كانت همزة الوصل بين الشعوب في الغرب والشرق.
- واللغة العربية هي التي كانت وعاءا حضاريا للتراث الفكري اليوناني واللاتيني القديم، باعتبار أنه تراث إنساني مشترك لأن العلوم والآداب اليونانية واللاتينية القديمة انتقلت أو ترجمت إلى اللغة العربية في عصور الإسلام الزاهية. فكانت هي سنداً قويا لها من الضياع لمدة قرون، باعتبار أنه تراث إنساني مشترك، إذ أن المسلمين استخدموها لتطوير علومهم وفنونهم وآدابهم. كما استخدم المسلمون في الشرق العلوم والآداب الغربية في العصر الحديث، لأنها ليست شرقية ولا غربية، وإنما هي جهود مشتركة للإنسانية جمعاء .

- فلا نريد أن نكتب مقالا في أهمية اللغة العربية، وإنما نريد أن نقول إن دراستها مهمة جدا للإنسان المعاصر، فالسؤال إذن كيف ندرسها؟
- نقول لا يمكن دراسة اللغات الأجنبية من غير دراسة قواعدها، لأن قواعد اللغة هي المفتاح لمعرفة دقائقها والتمسك بناصيتها.
- ويقال إن قواعد اللغة العربية أصعب من قواعد اللغات الأجنبية الأخرى على وجه الإطلاق.
- فهذا المقال أصلا عبارة عن دروس في قواعد اللغة العربية، تم إعدادها لمواجهة هذا التحدى. لأن هذا المقال يدل على أن قواعد اللغة العربية هي صعبة، ولكنها ليست أصعب القواعد في العالم. وهذه الصعوبة ترجع أصلا إلى التقصير من أصحابها الذين لم يقوموا بما نسميه الكفاية لتيسيرها.
- وفي العصر الحديث ظهرت عدة كتب في تحديد القواعد وتوضيحها في مصر والعالم العربى، إلا أننى شعرت بأن بعضها كتبت بطريقة تتبع طبيعة القواعد للإنجليزية، ولا شك أن الإنجليز ألفوا كتبا في قواعد العربية حسب طبيعة القواعد الإنجليزية كما دونت قواعد العربية في ظل قواعد اليونانية واللاتينية في القديم. الأمر الذي جعل القواعد العربية منطقية فلسفية جافة ومعقدة أكثر، كأن الأمر كان يتعلق بـ"إحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها" الأمر الذي دفع الإمام الشافعى (رحمه الله) ليقول: (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس) وذلك على الرغم من "أن لسان يونان ومنطق أرسطوطاليس في حيز ولسان العرب في حيز ".
- إننى لاحظت في بعض الكتب التي ظهرت في العالم العربى، الإطالة أكثر من المطلوب، كما لاحظت أنها بعيدة عن أصالة القواعد العربية، يمكن أن نسميها تحديد الأساليب العربية، كأنها فقدت أصالتها، ولكنها محاولات جديرة بالشكر والتقدير.

- والواقع إن الصعوبة لا تكمن في أن مصطلحاتها قديمة، وإنما تكمن في صياغة تلك القواعد في سياق منطقي – يقبلها عقل سليم – إن الصعوبة لا تنعدم إذا غيرنا المصطلحات التي أوجدها اللغويون القدامى أو أضفنا إليها إضافات جديدة بالجداول والخرائط، وطولنا في بيانها أكثر من مطلوب، بل إلى حد الإطالة المملة. وإنما الصعوبة – في نظرى – تكمن في تغيير طبيعتها البدوية الأصيلة إلى طبيعة اليونانية واللاتينية القديمة، أو الإنجليزية الحديثة. فيجب ألا نضع طبيعة العربية خاضعة لطبائع اللغات الأخرى، سواء كانت قديمة أو حديثة. لأن اللغات أصلا هي محلية إقليمية، فإذا أردنا أن ندرسها رجعنا إلى بيئتها البدوية السماعية الساذجة، واجتنبنا القياس الأرسطي القديم، والأسلوب الإنجليزي الرومانتيكي الحديث.
- ثم إننى رأيت أنهم ذكروا اسم "كان وأخواته" في المرفوعات، وذكروا "خبره" في المنصوبات، وكذلك وجدت أسماء وأخبار "إنَّ وأخواتها" و"مَا وَلَا" المشبهتين "بلَيْسَ" وَ"لَا" لنفي الجنس في مكانين مختلفين، وذلك على الرغم من أن الجمل الاسمية لا تكتمل إلا بهما (الاسم والخبر)، يعنى أنهما جزءان متلازمان لجملة واحدة، فأرى من المناسب أن نذكرهما في مكان واحد، ولا نفصل بينهما، باعتبار أنهما فردين من أسرة واحدة، فمن هذا المنطلق يجب ألا نضعهما في أماكن متفرقة ومتباعدة، حتى لا يتشتت ذهن الطالب الناشئ، ولا ينتشر تفكيره، ولا تكون القواعد مهجورة ومتروكة، يتركها الطالب، وهو يقول: حقا إنها لصعبة.
- ولا شك أن مصر وجامعتها العريقة "الأزهر الشريف" لها فضل عظيم في حماية أصالة العربية الفصحى بمنهجها الأصيل، وهذا الفضل لا يجحد، لأن انسلاخ مفهوم عالميتها إلى مفهوم عالمية أجنبية مستوردة من الخارج أمر غير مقبول، فأردنا أن نقدم مقالاً لا يفقد أصالتها ولا أساسياتها من حيث مصطلحات القواعد ومن حيث طبيعة لغتها،

فيعتبر هذا المقال يدعو إلى منهج المزج بين القديم والحديث، ليكون معياراً سهلا لكل من الطلاب والمعلمين الذين يدرسونهم قواعد العربية في مراحل التعليم المختلفة.

تمهيد

إن اللغة العربية من سلالة اللغات السامية الثلاث: السريانية والعبرية والعربية. والسريانية كانت لغة شعوب اندثرت آثارها واختفت أخبارها من صفحة النور والوجود. والعبرية أو العبرانية هي لغة نزلت بها التوراة والكتب المقدسة انقرضت بانقراض الثقافات البدائية والرسالات العتيقة التي كان لها اعتبار في زمن مضى. وإنما العربية، فهي كانت ولاتزال تعيش مع شقيقاتها الحية في العالم، لأنها لغة رسالة سماوية كتب لها الخلود والدوام، لأن الله تعالى قد اصطفاها دون غيرها من اللغات لتكون هي لغة خطابه الذاتي الأزلي (الوحي) أو التنزيل السماوي (القرآن)، كما ورد في قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون." كما أنها لغة نبيه العربي محمد بن عبد الله المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي جاء برسالة تأليف القلوب وألفة النفوس رحمة للعالمين، لنشر الأمن والسلام في كل بقعة من بقاع الأرض، الذي قدم للمجتمعات البشرية جمعاء رسالة جامعة شاملة كانت رسالة الرحيل لجميع الرسالات العتيقة قبلها .

واللغة التي تحمل هذه الرسالة العالمية الأخيرة هي اللغة العربية الفصحى، وعالميتها تكمن في رسالتها العالمية الموجهة لكافة الناس، وليست للعرب فحسب. وهذا تعليم النبي العربي (صلى الله عليه وسلم): "العربية ليست بأب وأم، فمن تحدث العربية فهو عربي". فالعربية هي لغة العرب والمسلمين جميعا الذين آمنوا برسالتها العالمية، وهم ملايين وملايين كتب لهم البقاء والخلود إلى قيام الساعة.

١. اللغة العربية الفصحى

فقد نشأت العربية السامية، ومرت بمختلف مراحل تطوراتها، حتى اكتملت خصائصها، وتهذبت في المجامع العربية وأسواقها، فمارس أهلها فنونها التي ازدهرت وترعرعت، واستظهروا شعرها ونثرها وحكمها البالغة وأمثالها السائرة وطاوعهم البيان في أساليبه الساحرة المتمثلة في الحقيقة والمجاز، والإيجاز والإطناب، والرواية والمقالة، وحين ارتفع شأنها، وبلغت بلاغتها كل مبلغ، وقفت على عتبة لغة القرآن في إعجازه اللغوي، تنحنى أمام أسلوبه المعجز إجلالا لها، وإعجابا بها، واعترف أعلامها وأساتذتها من فحول اللسان العربي بسمو أسلوبه البياني، إدراكا لأسراره ولا عجب، فتلك إذعانا لعظمتها، ووقف القرآن من أهالي هذه اللغة موقف التحدى في صور شتى، فعجز بيانهم ولسانهم وتحطمت أقلامهم أمام هذا التحدي.

ولجميع اللغات في العالم أهمية خاصة، لأن اللغات هي أداة التعبير والتصوير لمشاعر الإنسان وعواطفه. فاللغات مرآة حياة الأمم والشعوب، نرى فيها صورا منعكسة كاملة لثقافتها ومناطقها الجغرافية، ومدنيتها وعمرانها، وعاداتها وتقاليدها: أفراحها وأحزانها، واجتماعها واقتصادها، ومعاشها ومعادها. إن شأن اللغات شأن العمران البشري، ينقسم الناس إلى شعوب وأقوام، وألوان وأوطان، وهم يعيشون في مناطق جغرافية معينة، تنشعب فيها القبائل من الشعوب، والقبائل تتفرع إلى عائلات وأسر، والأسرة تتكون من أفراد وأشخاص، طبائعهم مختلفة مثل ملامح وجوههم، وخصائص هويتهم، وألوانهم.

واللغات أيضا موزعة ومنتشرة بين مناطق جغرافية، ولها أيضا أسر، مثل: أسرة اللغات السامية وأسرة اللغات الآرية وأسرة الهندو الأوربية وما إليها. إن المفردات والكلمات هي أفراد هذه الأسر، منها كلمات تكون معروفة لدى الجميع وهي مألوفة عندهم مثل: كلمة الأب والأم، الأخت والأخ، الزوج والزوجة، والابن والبنت وما إلى ذلك، ومنها كلمات لا يعرفها إلا قلة قليلة من الناس. والبعض منها تكون غير معروفة على وجه

الإطلاق، ويحتاج الناس في معرفتها إلى مراجعة المعاجم والقواميس. كما لا يمكن أن نتعرف على مزايا إنسان ومؤهلاته في أول وهلة أو بنظرة واحدة، بل ربما تنكشف محاسن سيرته الذاتية وهوية شخصيته في سنوات عديدة بعد معايشة طويلة معه، وكذلك هناك كلمات تحمل بداخلها عالما من المعاني والمفاهيم التي تكون في ضمير الإنسان، فلو لم تكن الكلمات المعبرة، لكانت صدور الناس مقابر للمعاني، ويختلف الناس في إدراك المعاني والمفاهيم المكنونة فى الصدور كما وكيفا، فقال بعض النقاد: إن كل كلمة لها معنى، ثم هناك معنى المعنى أو ظل للمعنى. والظلال للمعاني هي لا تنفك أبدا من شخصية المعنى للكلمة، فهناك أرواح وراء كل كلمة يجب أن تدرك. (١)

٢. مزايا اللغة العربية

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للدين الإسلامي الحنيف، فهو مصدر للشرائع والأحكام، إن عربية القرآن في الدرجة القصوى من الفصاحة والبيان، وكل كلمة من تعابير آياته أفصح وأبلغ، واليوم توجد لهجات عديدة للغة الدارجة في العالم العربي، ولكن العربية الفصحى هي التي يفهمها الجميع من اليمن إلى المغرب العربي. وهذا أيضا من إعجاز القرآن الكريم.

والمزية الأخرى للعربية المجيدة هي وجود الأحاديث النبوية الشريفة، فقد قال رسول الله (صلى الله علبه وسلم): "أنا أفصح العرب والعجم" وقال: " أوتيت جوامع الكلم" ومن المعجزات المثيرة للعجب أن اللسان المبارك الذي نطق بكلمات الوحي وآيات القرآن الكريم هو الذي خرجت منه الأحاديث النبوية الشريفة إلا أن لهجتهما وطبيعتهما، وطابعهما وطبيعتهما مختلفة تماما، وكل من يتعلم اللغة العربية يعرف الفروق بدقة بين آيات القران الكريم وأحاديث النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم). وهذه هي مزايا اللغة العربية من الناحية الدينية.

والميزة الثالثة هي أهميتها الأدبية، فحين ظهرت الأغاني وأنشدت القصائد وكتبت الدواوين الشعرية والنثرية، وألفت القصص باللغة العربية كانت لغات كثيرة من لغات العالم فى سبات عميق. وحقا كلمة الشعر والشاعر مأخوذة من العربية في كثير من اللغات الآسيوية مثل الأوردية والفارسية والتركية وغيرها، والرديف والقافية أيضا من المفردات العربية. وفي الواقع إن المفردات مثل: الأسلوب والألوان والفصاحة والبلاغة والسلاسة والصنائع والبدائع وما يتعلق بالأجناس الأدبية والأغراض الشعرية كلها ترجع إلى اللغة العربية أصلا، لأنها نشأت في حضنها. وفي الواقع ظهرت الأغاني أو فنون الشعر أولا عند العرب، وهي لم تكن تعرف بالقصائد الشعرية وقتئذ، وإنما كانت تعرف بالأغاني.(٢)

والميزة الرابعة هي ما يتصل بالجانب اللغوي، فمن مزايا اللغة العربية أنها تشمل الإيجاز والإطناب، ولكن إيجازها ليس الإيجاز المخل ولا إطنابها هو الإطناب الممل، والإيجاز والإطناب هنا في معنى أنه يمكن أن يعبر أحد عن غرضه بكلمتين أو بمائة كلمة، فهي غنية بمفرداتها، وهي أقوى لغة في العالم من حيث التأثير في النفوس، وأشدها روعة وبيانا للخطابة، إن اللغة الإنجليزية تعتبر اليوم لغة عالمية، ولكنها تعرف بلغة التصريح المكبوح.

ومن المزايا اللغوية للعربية أيضا أن المفردات تتغير أشكالها فيها بالإضافة والصفة، مثل مفردات الأنس والحب والوله والغرام لها درجات مختلفة لبيان عاطفة واحدة.

إن قواعد اللغة العربية هي الأخرى أوسع وأشمل بحيث أنها كادت أن تستوعب اللغة كلها، ولكن ليس معنى ذلك أنها لا تحتاج إلى التطوير، لأن الكلام يتجدد، فهذه القواعد العربية ظهرت إلى معرض الوجود من الكلام الذي كان قد ظهر حتى عصر تدوين القواعد العربية، فاستوعبته، في حين هناك لا توجد أية قاعدة للتذكير والتأنيث فى كثير من لغات الشعوب والأمم في العالم. إلا أن الناطقين بالعربية يميزون بينهما بحد السهم. ففي العربية توجد أوزان عديدة للتأنيث والجمع المكسر، وللجمع وجمع الجمع، وكذلك للتفضيل

والتصغير صيغ معينة، وإن كانت لفظة مفردة تدل على معان عديدة، فيختلف معناها في صيغة الجمع.

ومن المزايا التي تمتاز بها العربية أن كل كلمة فيها تتكون من مادة تشتمل على ثلاثة أحرف، وإن كانت الكلمة فعلا، فهي تتفرع إلى عشرة أبواب للمزيد فيه، كما تنشعب منها مشتقات أخرى مثلا: مادة "فعل" يصاغ منها باب التفعيل والإفعال والافتعال والانفعال والاستفعال وغيرها من أبواب المزيد فيه، كما يصاغ منها اسم الآلة على وزن "مفعال"، واسم التفضيل على وزن "أفعل وفعلى"، واسم المبالغة على وزن "فعال" واسم الظرف على وزن "مفعل" وما إلى ذلك، فإذا عرف أحد مادة ثلاثية واحدة لكان على علم بهذه الصيغ، فيمكن عن طريق معرفة هذه المادة أن يعرف معاني خمسين من الكلمات التي اشتقت منها. وهذه المزية للغة العربية وحدها، وليست لسواها من اللغات.

ولقد كانت العربية لغة العلوم في العصور الوسطى حيث نقلت ما أبدعه العلماء المسلمون في الطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلك وغيرها.. حقا إن العربية وعاء حضارة واسعة النطاق، عميقة الأثر، ممتدة التاريخ.(٣)

وجدير بالذكر أن العربية لغة أهل البوادي، ولكن من مزاياها أن لغة البدو أفصح وأجدر بالثقة والاعتبار، ولما خرجت هذه اللغة من بيئتها البدوية في شبه الجزيرة العربية بعد طلوع الإسلام، واختلطت بغيرها من لغات الأمم والشعوب الأخرى، فصبغتها بلونها، وتركت عليها طابعها، فاللغة الفارسية التي بدأت تكتب بحروف عربية لا تزال تحتفظ نحو خمسين في المائة من مفرداتها التي يرجع أصلها إلى العربية، وإن سبعين في المائة أو أكثر من الأسماء المستعملة في اللغة الأوردية مستعارة من اللغة العربية ولا يختلف الأمر في اللغة التركية، إنها أيضا تتضمن آلافا من الكلمات العربية، وإن لغة (الهوسا) هي لغة إفريقيا الشمالية أو لغة (سواحلى) فهي أيضا مدينة للعربية. والكلمات العربية المستخدمة في لغات الأمم والشعوب

الآسيوية هي صارت كأنها جزء لا يتجزأ من تلك اللغات، ورغم ذلك أنها تعرف بعربيتها، وذلك لعدم وجود مصادر الاشتقاق لها في تلك اللغات.(٤) فنقول بإيجاز ما من لغة من لغات جنوب آسيا وجنوب شرقى آسيا، إلا وهي متأثرة باللغة العربية في قليل أو كثير، حتى الإنجليزية.

وبعد هذا.. لا حاجة إلى التعريف بالعربية، إلا أنها هي ما رواه لنا أئمة اللغة، وجاء به القرآن الكريم، والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب، ولا يعلم بالضبط الوقت الذي تمثلت به بصورتها المعروفة لنا، ولا كل الأسباب التي أدت إلى اندماج لغات بعض هؤلاء الشعوب في بعض، لأن تكوين وتشكيل لغة يحتاج إلى عصر، وغاية ما علم من بعض الآثار الحجرية والروايات المروية أنه كان فى جنوبي الجزيرة وشمالها لغات متميزة كل التميز من العربية التي رويت لنا، ودرست وبقيت لنا منها أشباح تتراءى إحيانا في بعض اللهجات العربية الأخيرة وأوجه إعرابها واشتقاقاتها وترادف ألفاظها.(٥)

٣. لهجات القبائل العربية في العصر الجاهلي

كما هو معلوم أن المؤرخين يقسمون الجاهلية إلى فترتين: الجاهلية الأولى والثانية، أما الجاهلية الأولى فلا نعرف عنها شيئا سوى ما ذكر في القرآن الكريم، أما الجاهلية الثانية فهي فترة مائة وخمسين سنة أو مائتي سنة على الأكثر قبل الإسلام، وأول شاعر عربي هو امرؤ القيس بن حجر أو المهلل بن ربيعة، كما ذكر الجاحظ في كتابه: الحيوان.(٦) وعلماء اللغات لا يختلفون في وجود لهجات عربية مختلفة في تلك الفترة من الزمن، كما نرى في قول أبى عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"، ولكن بعض المستشرقين ينكرون وجود لغة موحدة قبل الإسلام.(٧)

أما اختلاف اللهجة اليمنية عن العدنانية فهو أمر لا خلاف فيه كما نرى ابن جني يعترف بقوله: "لسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة بني نزار... وعندما جاء العلماء لرواية اللغة تحروا ذلك لتفاوت القبائل في الفصاحة، وقد استبعدوا لغة حمير، لأنها تكاد تكون لغة وحدها مخالفة للغة مضر، ولأنهم خالطوا الحبشة، وخالطوا اليهود، وخالطوا الفرس، فتأشبت لغتهم".(٨)

٤. نشأة لغة أدبية وتطور خصائصها الفنية فى العصر الجاهلي

كان الاختلاف والتفاوت بين اللهجات العربية العديدة من آثار التطور التاريخي. ومن المعلوم أن "اللغة العربية ظلت قرونا قبل العصر الجاهلي التاريخي، وهي تتطور وتتكون وتأخذ بكل الأسباب التي تكمل خصائصها، فتنوعت فيها عوامل النمو من إبدال واشتقاق، ونحت وتعريب، حتى برزت للتاريخ كاملة ناضجة".(٩) فقد عمد العرب إلى تكوين لهجة أدبية تكون أداة للتعبير الأدبي، ينطلق بها الخطباء، ويقول بها البلغاء، ويصوغ بها الشعراء ويتفوه بها الحكماء.

وقد عمت هذه اللغة الأدبية الجزيرة العربية، وارتضاها العرب وارتضتها القبائل وقد بقيت لكل قبيلة لغتها أو لهجتها الخاصة لتستعملها في غير التعبير الأدبي، كالتخاطب والحياة اليومية، تبعا للبيئة التي تعيش فيها، واختلاف طرق الوضع والارتجال.

لقد ظهرت اللغة الأدبية، وازدهرت في الفترة التي اكتملت فيها خصائصها الفنية للشعر العربي، وقد استوى في القول والنظم بهذه اللغة امرؤ القيس اليمني ولبيد بن ربيعة المضري العدناني، وكانت من نتيجة ذلك أن ينقسم الشعراء العرب إلى شعراء إقليميين وشعراء عموميين. وقد ساعد على إنشاء هذه اللغة الأدبية عوامل كثيرة منها ما اعتبرته العرب

أمرا أساسيا وضروريا بالنسبة إليها، وهو وجود لغة موحدة تجمعهم وتصبح وعاء لأدبهم. وكانت هذه اللغة الأدبية ثمرة التقارب بين لغات القبائل، وبها نزل القرآن.(١٠)

قد تجاهل بعض المستشرقين هذه الخلفية التاريخية أن القبائل الشمالية أخذت تغير على الجنوب منذ منتصف القرن الرابع الميلادي، بعد أن ضعف شأن الدولة الحميرية، واستقرت هذه القبائل، ونشرت لغتها في جنوب الجزيرة، وكذلك هاجر عدد كبير من عرب الجنوب إلى الشمال، واتخذوا لغة الشماليين لسانا لهم، ونعرف من النقوش التي عثر عليها في الجزيرة العربية أن الخط العربي قد نشأ من الخط النبطي وتطور شمال الحجاز، وأن اللغة التي كتبت بهذه النقوش هي اللغة العربية في أطوارها المختلفة.(١١)

ومن هذا المنطلق نرفض النتيجة التي توصل إليها البعض من المستشرقين في قوله: "لا يوجد لدينا أى سبب يدعونا إلى افتراض وجود لغة أدبية في أي مكان حتى جاء القرآن".(١٢) وليس من المعقول أن ينزل القرآن بلغة على قوم يجهلونها. فليس من الغريب أن ينزل الله القرآن وحيا على نبيه بلسان قومه أي بلسان عربي مبين. وذلك على الرغم من وجود آراء أخرى للمستشرقين في هذه اللهجة، فقال (نولدكه): "إن الاختلافات بين اللهجات في الأجزاء الأساسية من جزيرة العرب، مثل الحجاز ونجد وإقليم الفرات كانت قليلة، وتركبت منها جميعا هذه اللهجة (اللغة) الفصحى".

- وقال (جويدي) إنها ليست لهجة معينة لقبيلة بعينها، إنما هي مزيج من لهجات أهل نجد ومن جاورهم.
- وذهب (فيشر) إلى أنها لهجة معينة، ولكنه لم ينسبها إلى قبيلة من القبائل.
- وذهب (نالينو) إلى أنها لغة القبائل التي اشتهرت بنظم الشعر، والتي جمع اللغويون والنحاة من أهلها مادتهم اللغوية وشواهدهم، وهي قبائل معد التي جمع ملوك كندة كلمتها تحت لواء حكم واحد قبل منتصف القرن الخامس الميلادي. وفي رأيه أنها

تولدت من إحدى اللهجات النجدية، وتهذبت في زمن مملكة كندة، وصارت اللغة السائدة بين العرب.(١٣)

- وزعم (بروكلمان) أن العربية الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات، وإن غذتها جميعا.(١٤)

إن شوقي ضيف قد تناول في كتابه (العصر الجاهلي) اللهجات العربية القديمة الأربع، التي كتبت منها ثلاثة بالخط المسند الجنوبي، وهي اللهجة الثمودية، واللحيانية والصفوية، والرابعة نبطية وهي مكتوبة بالخط الآرامي، ثم بين كيف نشأت اللغة العربية الفصحى، وتطورت وأصبحت أدبية وازدهرت؟ ثم كيف توحدت في ظل سيادة اللهجة القرشية؟(١٥)

لقد كان لقريش نفوذ كبير بسبب مركزها الديني الروحي والاقتصادي المادي، فقد كانت تقوم على حراسة الكعبة، وكانت قوافلها تجوب كل أنحاء الجزيرة العربية، وكانت كل القبائل تجتمع عليه في الأعياد الدينية والأسواق التجارية والأدبية، إذن فقد كانت محط الرحال، ومناط الأنظار، ومهوى الأفئدة. وهي في كل ذلك تعمل على صقل لهجتها وتهذيب حواشيها، باختيار ما عذب في اللسان، وخف على السمع من لهجات هذه القبائل جميعا، وبذلك تهيأ للهجتها (الفصيحة) أن تسود اللهجات كلها، وأن تصبح هي اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن.(١٦)

فهي اللغة العربية من أغنى اللغات كلما، وأعرقها قِدَماً، وأخلدها أثرا، وأرحبها صدرا، وأدومها على غير الدهر محاسنة وصبرا، وأعذبها منطقا، وأسلسها أسلوبا، وأروعها تأثيرا، وأغزرها مادة، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس أو يحول في خاطر: من تحقيق العلوم، وسن قوانين، وتصوير الخيال، وتعيين مرافق وهي على هندمَة أوضاعها، وتناسق أجزائها، لغة قوم أميين، لم يكونوا في حكمة اليونان ولا صنعة الصين، بادوا وبقيت بعدهم سائرة مع كل

جيل، ملائمة لكل زمان ومكان. لو لا روح عظيم ما خلدت ودرج أقرانها وأنفتْ واستخذى سلطانُها، ولا عجب أن بلغت تلك المنزلة: من بسطة الثروة وبعد المدى، إذ كان لها من عوامل النمو، ودواعي البقاء والرقي، ما قلما يتهيأ لغيرها، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، وغلبت اطراد التصريف، والاشتقاق وتنوع المجاز والكناية، وتعدد المترادفات، إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب، ولما تشرفت به من ورود القرآن الكريم والسنة النبوية بلسانها.(١٧)

٥. تعليم العربية بقواعدها اللغوية وتاريخ أهاليها وبيئتها الثقافية

إن تعليم العربية لغير الناطقين بها في الأقطار الإسلامية غير العربية يختلف عن تعليمها لأبناء أهلها في البلدان العربية، والبيئة العربية تختلف عن البيئة غير العربية، لأن العربية تدرس في الدول العربية باعتبارها لغة قومية قبل أن تدرس باعتبارها لغة دينية، بينما لا تدرس العربية في الأقطار الإسلامية باعتبارها لغة من لغات الأمم الأجنبية فحسب، بل تدرس باعتبارها لغة الدين الإسلامي الحنيف. فنحن نقدس العربية باعتبارها لغة كلام الله، ولغة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولغة التراث الإسلامي المكتوب بالفصحى وندرسها بغايات دينية.

ولكن الأمر يختلف بالنسبة للأعاجم، ولذلك نرى أن الأعاجم الذين دخلوا في دين الله أفواجا حين أرادوا أن يتعلموا لغة دين الله كانوا في حاجة إلى وضع أصول وقواعد لها، وذلك لتيسير نظام عملية التعليم والتعلم. فظهرت العلوم اللغوية: (النحو والصرف والبلاغة) وهي كانت ولاتزال مفيدة للأعاجم باعتبارها لغة دينهم.

ولذلك نرى أن اللغات الأجنبية لا تدرس من غير دراسة القواعد اللغوية وتمارينها التطبيقيه. فدراسة النصوص اللغوية (لغير الناطقين بها) بدون دراسة القواعد اللغوية وتطبيقاتها فكرة مرفوضة تماما.

أما مادة التاريخ اللغوي والأدبي، فلا بد منها لاستخراج الدروس والقيم المعنوية منها التي يقدمها التاريخ للبشرية وللأجيال الحاضرة والقادمة. التاريخ علم هام، ولو لم يكن علما لما تطور وبقي، حتى أصبح على رأس العلوم الإنسانية جميعا. وقبل أن يدرك الفلاسفة ذلك أحس حكماء الشعوب بقيمته بدافع من غريزة المعرفة الفطرية. ففي القرن السادس قبل الميلاد قال حكيم الصين العظيم (كونفيوشيوس): "إن قدماء الناس اهتموا بدراسة الماضي (وكان يقصد التاريخ) بقصد تطوير أنفسهم وحاضرهم".(١٨)

فهناك قيمة خاصة للتاريخ، وهي الاستفادة من دروسه الماضية. والتاريخ يلعب دوره في توضيح الصور أمامنا، ويوفر لنا فرصة الربط والمقارنة بين الماضي والحاضر، ومن ثم تتحقق القدرة على الاستقراء التاريخي مستقبلا، لأن التاريخ مسائل وحلول، مسببات ونتائج، الحل يصبح مسألة في المستقبل والنتيجة اليوم تصبح عاملا مسببا في الغد." ويقول في ذلك (لورد أكتون): "إن أعظم فائدة يقدمها لنا التاريخ هي أنه يجعلنا قادرين على تفهم العالم الحديث وتفهم أنفسنا وما حولنا، لنعلل كيف ولماذا أصبح الحاضر على ما هو عليه".(١٩)

وفي الواقع كل ما نراه من علوم وفنون وآداب هي من ثمار تجارب بشرية اكتسبت في الماضي، ومعلوم أن الحاضر دائما يولد من بطن الماضي، فدراسة اللغات والآداب والعلوم والفنون بدون دراسة تاريخها وتاريخ ثقافة أهلها وبيئتها دراسة منقوصة.

فبالنسبة لدراسة القواعد البلاغية، نحن لا نؤيد هؤلاء الذين يقولون: إن العلوم البلاغية لم تمتلئ بالخطأ والتقصير فحسب، بل هي أخذت وجهة خاطئة منذ بدايتها، فكان من المستحيل أن تنتج شيئا ذا قيمة في تذوق الأدب والكشف عن جماله الحق. هذه العلوم قد دونها في الأغلب رجال من المتكلمين الأعاجم الذين ضعف نصيبهم من السليقة العربية، باقتفاء أثر أرسطو فيما ألف من الشعر والخطابة والمنطق، وتشربوا مما ترجم من الفلسفة

اليونانية وما تولد منها، وبني عليها في الحواضر الإسلامية من الفلسفة والكلام والفقه والأصول وشتى فروع الجدل الفكري المحض في الثقافة الإسلامية الناشئة.

ويقولون أيضا: إن علم المعاني ومباحثه أقرب إلى علمي المنطق والكلام منها إلى أن تكون بحثا بلاغيا، فقل ما نجد في مباحث هذا العلم الذي عدوه سيد علوم البلاغة، وفي نكاته التي يتصيدونها، ما يشحذ حسا فنيا أو يصقل ذوقا أدبيا أو يلفت إلى سر حقيقي من أسرار البلاغة العربية بل هي تزيد ذوق المتأدب فسادا وتشويها. وكذلك علم البيان، وإن دار على وسائل تصويرية صحيحة من تشبيه ومجاز مرسل واستعارة وكناية، فقد نظر نظرة محدودة جدا إلى هذه الوسائل، ولم يكد يفهمها إلا كقوالب جامدة برع في تقييد ظواهرها الشكلية وتسميتها بالمصطلحات.

فنحن نرى أن هؤلاء يجعلون تلك الجهود كلها ضائعة، أو يقللون من أهميتها سواء كانت تلك الجهود بذلت من الأعاجم أو من العرب لأن العلوم العربية ازدهرت في العصر العباسي بعد أن تمخضت منها الكتب القيمة لهؤلاء الذين حددوا أساسا متينا ونظاما محكما لعقيدة الإسلام، ونجحوا في الدفاع عنها ضد الزنادقة والملحدين والمشركين من المزدكية والمانوية والسبئية دفاعا شديد الحيوية، حتى لا نكاد نعرف له مثيلا قط في تاريخ الفرق الدينية. ولا شك أن الإسلام قد سيطر على ساحات شاسعة إثر فتحه العظيم، وحل محل معتقدات قديمة، وديانات عتيقة، واكتسح تماما آثار الفكر القديم، فاعتنقه كثيرون من اليهود والمسيحيين، وانتشر المزدكيون ومتبعو الديانة المانوية والسبئية بين المسلمين، وقد حملت هذه العناصر الأجنبية أفكارها ومذاهبها التي أثارت الفتن بين الفرق الإسلامية. فحاول هؤلاء البلاغيون وعلماء الكلام إقناع خصومهم، واستطاعوا بموهبتهم البارزة في الجدل والمناظرة الانتصار عليهم في النهاية.

والحق إن ترجمة الكتب إلى العربية كانت عاملا قويا من العوامل التي دفعت النقد العربي القديم في العصر العباسي إلى الأمام، وذلك لأنه قد انتقل بترجمته مظاهر أدبية ونقدية كان لها أثرها في الحركة العقلية للنقد إلى مرحلة أخرى، فوضعت النظريات، واستخدم المنطق في الجدل والحوار، وألفت الكتب النقدية التي تذخر بالمناهج العلمية والعقلية التي أسسها النقاد العرب. وقد ظهر أثر ذلك واضحا أيضا في تطور النقد العربي، وخاصة الأثر اليوناني (المنطق والفلسفة) وأول ما ظهر أثرهما كان عند المتكلمين الذين رأوا حاجتهم الملحة للفلسفة حتى يدفعوا المطاعن عن القرآن الكريم، فاستطاع علماء المسلمين عن طريق دراسة المنطق والفلسفة وبصفة خاصة كتابي (الشعر) و(الخطابة) لأرسطو أن يخرجوا بالنقد العربي من الجو العربي الخالص، إلى آفاق واسعة، كما نراها بوضوح عند قدامة بن جعفر في كتابه: (نقد الشعر) و(نقد النثر) المنسوب إليه، كما ظهر عند الرماني في كتابه: (النكت في إعجاز القرآن)، وكذلك عند نقاد القرن الخامس الهجري كالباقلاني في (إعجاز القرآن) وابن سنان الخفاجي في (سر الفصاحة).

ومن أهم العوامل التي أثرت في تطور النقد العربي القديم في العصر العباسي القرآن الكريم، فقد كان له أثر مباشر وأثر غير مباشر، أما الأثر المباشر، فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن الكريم، وبيان جوانبه البيانية، محاولين إظهار إعجازه البياني بمقارنة الشعر العربي، وخصائص البيان العربي بصفة عامة، واستخدموا في ذلك الوسائل التي استخدمها نقاد الشعر، بل إن بعض الدراسات القرآنية في القرن الثالث الهجري قد استخدمت من المصطلحات البيانية ما لم يكن شائعا حتى ذلك الوقت في دراسات نقد الشعر، مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة.(٢٠)

واختلطت مقاييس النقد والبلاغة بالدراسات القرآنية، فاستخدم علماء الإعجاز مصطلحات البديع وأبوابه في كشف بديع أسلوب القرآن للتوصل إلى إعجازه، ومن هنا أثر

القرآن في مناهج النقاد، ودفعهم إلى بيان أوجه الإعجاز، فأقبلوا على إثبات إعجازه، وسمو بيانه على الشعر العربي، وعقدوا لذلك المقارنات، كما فعل الباقلاني الذي عاب تحكيم البديع في بيان القرآن.(٢١)

وأما عن الأثر غير المباشر، فقد جاء عن طريق ترقيق القرآن لأذواق النقاد، بما جرى به أسلوبه من الصياغة الرائقة والصور الجميلة ذات التشبيهات والاستعارات الرائعة، مما جعل العلماء يستشهدون بصياغته، وتشبيهاته على كل جيل، وصارت شواهد القرآن في مقدمة الشواهد الأدبية في كتب النقد والبلاغة.

ثم إن المذاهب والنظريات تمثل دائما روح عصرها، فالمذهب الكلاسيكي يمثل روح عصره، وقام المذهب الرومانتيكي بعد موته، فلكل عصر منطقه، فالنقد الأدبي القديم أو النقد البلاغي العربي يمثل عصرا له منطقه، والنقد الحديث له منهجه. ولا إنكار أن النقد الأدبي قديما وحديثا قد ازدهر باتصاله بالآداب الغربية كما ازدهر باتصاله بالآداب الشرقية. والبحوث الأدبية يجب أن تكون خالية من النزعات الشعوبية والغرور القومى والتعصب الأعمى. فلا نقول إن هذه العلوم البلاغية قد دونها في الأغلب رجال من المتكلمين الأعاجم الذين ضعف نصيبهم من السليقة العربية.

وكذلك نحن لا نؤيد من يقول: إن الكتب البلاغية أفسدت الأذواق العربية بدلا من تربيتها وتنميتها، ونقول له إن العلم لا يسمى فسادا قط، لأنه هو ما ينتفع به الإنسان للخيرية في حياته، فالعلوم المدونة في الكتب البلاغية لا تزال صالحة لمعرفة دقائق الكلام العربي وأسراره. والذين يذهبون إلى هذا الاتجاه المعاكس أذهانهم ليست صافية، ولا مخلصة للعلوم العربية، بل معظمهم ليسوا من أصحاب الفصحى، وإنما هم من أنصار النزعة الرومانتيكية التي تعتبر قواعد البلاغة والبيان العربي مرضا للعصر، يبحثون عن علاجهم في

اللون المحلي، ويروجون اللهجات المحلية ليكتبوا لآدابهم هوية ذاتية نظرا للشعار الرومانتيكي المستورد من الغرب.

يجب ألا نشك نحن في نية المتقدمين من النقاد البلاغيين الذين أضافوا إلى المكتبة العربية والإسلامية إضافات جديدة قيمة بجهودهم الضخمة، فيجب أن نعترف بعبقريتهم في هذا المضمار، بدلا من أن نلومهم ونضعهم في قفص الاتهام بأنهم استخدموا ما ترجم من المنطق الأرسطي وما تولد منه من العلوم. نعم.. قد استخدموه ليتمكنوا من الرد على منطق أعداء الإسلام بمنطقهم في عصرهم، لأن ذلك العصر كان لا يفهم أي منطق سوى المنطق الأرسطي.

فلن نؤيد هؤلاء الذين يقولون إن الجهود البلاغية مضللة، أو لم تنتج شيئا ذا قيمة، أو جهود ضائعة، ونحن على يقين أن هؤلاء لا يشعرون بخطورة هذا القول الضار الخطير للغاية، الذي يمكن أن يبتعد به الدارس المسلم عن كتب المتقدمين القيمة، ولا يلتفت إليها قط إهمالا لتلك الجهود الضخمة التي لم تفقد فاعليتها حتى الآن، ذلك لأنها تتناول قضية إعجاز القرآن وعقيدة الإنسان في قضايا الإيمان بالغيب التي كانت ولا تزال قائمة، لأن القرآن والإنسان كليهما لا يزالان باقيين على صفحة الوجود. ثم هذا القول خطير جدا، لأنه يهدم بناء الفكر الإسلامي الموروث، ولأنه يتعارض مع هدف المسلمين المنشود الذين يبذلون قصارى جهودهم لإحياء التراث العلمي والثقافي لأجدادهم المسلمين من المفكرين العباقرة الذين ساهموا في تأسيس بناء الثقافة الإسلامية بناءا محكما.

ولا ريب أن الإعجاز ليس منحصرا فى قضية (اللفظ والمعنى) فحسب التي أثارها الجاحظ، وقد طال الجدال فيها بين كثير من علماء البلاغة العربية لمدة طويلة، ولكن معرفة هذه القضية مهمة جدا لإدراك التأثير الوجداني للكلام الرباني في النفوس البشرية، لأن التأثير الوجداني لا يمكن تصوره من غير أدوات التعبير والتصوير التي تتكون منها الصور البيانية التي

فصل فيها عبد القاهر الجرجاني كلامه بعنوان: (باب النظم والنحو) في كتابه: (دلائل الإعجاز).

ولا نؤيد الدكتور إبراهيم أنيس الذي لا يرى في حركات الإعراب غير ظاهرة صوتية نتخلص بها من التقاء الساكنين، ولا يرى أي دور للإعراب في وظيفة التفاهم. لأن في رأيه تحاملا على اللغة، لأغراض دعوته إلى تعزيز العامية والدفاع عنها بدون هدف وجيه سام، فتمحل. وبالتالي، فقضية تركيب الجملة وترتيبها هي التي تحدد المعنى، أمر مرفوض أمام وقوع اللبس، وأمام التقديم والتأخير ووجوبهما أو جوازهما (مما ذكره البلاغيون العرب وخاصة عبدالقاهر الجرجاني). ثم إن قضية السياق التي أشار إليها تدل على فهم مغلوط لمصطلح السياق، فالسياق لا يحمل اللفظة معناها من خلال علامات إعرابها، من معناها اللغوي أو معناها المفهومي والدلالي، بل يأتي إليها من عدة مستويات تركيبية وعلائقية من جار ومجرور، وتوجيه دلالي من الأفعال والأسماء، ومقام الحديث وموضوعه، والظروف الاجتماعية والنفسية المتعلقة بالمتكلم، وقد ينزلق اللسان بلفظ بعض الحركات خطأ، ولكن السامع يفهم مقاصد المتكلم رغم اللحن.(٢٢)

والذي يقول اليوم إن الجهود البلاغية هي عقيمة، يجب ألا ينسى مفهوم الأدب في العصر الحديث عند أساتذته الغربيين، الذين قال بعضهم إن الأدب هو: الجنس والعصر والبيئة، فيجب أن يقوم الأستاذ الناقد بتقييم تلك الجهود البلاغية في عصورها وبيئتها الثقافية، التي بذلت من قبل علماء البلاغة العربية آنذاك. وكيف نقول إن تلك الجهود عقيمة أو كانت عقيمة وهي ترمي إلى هدف منشود، وهو إغناء العلوم والمعارف والآداب الإسلامية، بل هي التي تمخضت عنها العلوم العربية والإسلامية وازدهرت، حتى بدأت تعرف بها تلك العصور بعصور نهضاتها الزاهية. فلكل عصر منطقه الخاص، ولكل مذهب تعبيره الخاص لتصوير حالة نفسية معينة لعصره الذي ظهر فيه.

في الواقع ليس العيب في قواعد النحو والصرف والبلاغة، ولا فيمن دونوها من العرب أو الأعاجم، وإنما التقصير منا في فهم أن هذه اللغة العربية وقواعدها ثابتة، ونسينا أننا نعيش في دنيا المتغيرات، ونحن بدورنا لم نقم بالواجب في تيسير هذه القواعد ولم نحسب حركة الزمن السريعة، حتى تساير هذه اللغة بقواعدها موكب الزمن وتطورات الصراع الحضاري بين البشر.

إننا نسينا أيضا ونوجه التهم إلى القواعد ومن دونوها أن اللغة العربية قد انتشرت في كل قطر ومصر بعلومها اللغوية وقواعدها، حتى بعض الدول العربية التي هي لم تكن عربية أصلا قبيل الإسلام، مثل: العراق ومصر والشام، وليبيا، والمغرب وتونس، والفتح الإسلامي كان مستمرا في انتصاراته نحو كل ناحية من الشرق والغرب. والتاريخ يشهد أن تلك العلوم العربية والإسلامية التي تم تدوينها في تلك العصور يسميها العالم العصور الزاهية لتلك العلوم. ونسينا أن هذه العلوم هي التي جعلت تلك الدول وأهاليها من العرب، التي تتفاخر بعربيتها اليوم باعتبار أنها أعضاء في جامعة الدول العربية.

٦. اللغة العربية أمام اللسانيات الحديثة

إن اللسانيات نوع جديد من أنواع الدراسة اللغوية يعتمد مناهج ووسائل محدثة لا تقتصر على هذه اللغة دون غيرها. لذلك لا بأس من إضافة هذا الدرس إلى العلوم العربية اللغوية. وقد ظهر في هذا الدرس كتب عديدة، مثل: (اللغة العربية معناها ومبناها) للدكتور تمام حسان، و(التفكير اللساني في الحضارة العربية) للدكتور عبد السلام المسدي، و(مبادئ اللسانيات) للدكتور أحمد محمد قدور الذي يرى أن الدرس اللساني العربي المقترح لا يمكن أن يكون صحيحا ما لم يكن مسبوقا بكشف دقيق لإنجازات علماء العربية في كل مجال من مجالات درسها، وفهم واع لمناهج الدرس اللساني المستجلب ومقاصده.(٢٣)

شهدت الدراسات اللغوية في الغرب منذ القرن التاسع عشر توسعا ونضجا. وقد بعث هذا التطور نهضة علمية لاتزال آثارها ممتدة حتى أيامنا هذه. ولم تكن هذه الدراسات التي صارت تدعى باللسانيات (Linguistics) في سعيها إلى الدرس العلمي للظواهر اللغوية. وقد مهد هذا الاتصال، وما ينطوي عليه من تأثر وتأثير، لنشأة فروع علمية جديدة، كانت اللسانيات الطرف الأساسي فيها كاللسانيات النفسية والاجتماعية والجغرافية ونحوها. وقد شهد القرن الثامن عشر ظهور الفيلولوجيا (Philology) التي ترجم خطأ إلى (فقه اللغة) بالعربية، ولكنها لم تتعد حدود العمل التمهيدي اللازم لدراسة اللغة. إلا أن فرديناند دوسوسير (ت: ١٩١٣م) جعل اللسانيات واضحة الحدود من حيث الاختصاص الذي صار يشمل جميع قطاعات اللغة على حد سواء، كالأصوات والصرف والنحو والمعجم والدلالة، ومن حيث المناهج التي نضجت وآتت أكلها كالمنهج التاريخي والمقارن والوصفي. ولما بدأت معالم هذا العلم الجديد تلوح في الدرس اللغوي الحديث عند العرب انقسم الدارسون العرب بين من هون من شأن هذا العلم ومن عظمه. فالذين هونوا منه لم يقفوا على مبلغ ما فعله في الغرب حتى يقدروه حق قدره. أما الذين عظموه فقد جعلوا منه قطب الرحى في كل دراسة، وصغر لذلك في عيونهم ما أنجزته الدراسات العربية القديمة في اللغة ومناهجها.(٢٤)

والحق "أن اللسانيات ينبغي أن تكون عامل (تحديث) لا عامل تهديم، وأن يكون ما يفد منها إلى درسنا على سبيل الإضافة والإثراء وليس على سبيل المسخ والإلغاء. فمن الإفادة المرجوة مثلا تحديث مناهج الدرس اللغوي، وتخليص هذا الدرس مما لحق به من معطيات خارجة عن مجال اللغة، وابتناء علوم لغوية جديدة على هدى من الأنظار الحديثة كعلم الأصوات وعلم الدلالة والمعجمية، مما لم يعرف في درسنا ضبطا منهجيا أو إطارا معرفيا (إبستيمولوجيا)، مع كثرة الجهود وسعة المعطيات. كما يمكن لفقه اللغة العربية أن يفيد من الكثير من نتائج الدراسات اللسانية المقارنة، والدراسات الفيلولوجية لمعرفة مكان العربية بين

أخواتها عبر التاريخ، وأن يفيد من نتائج الدرس التأصيلي (Etymology) لمعرفة مصادر المعرب معرفة صحيحة، ونحو ذلك كثير".(٢٥) وخاصة من علم الدلالة، لأن العرب كان لهم فضل السبق في العلم بالأصوات، وإيجاد المعاجم. ومعلوم أن علم الدلالة من قطاعات الدرس اللساني الحديث، ومجال هذا العلم دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من مسائل. والحق أن نمو علم الدلالة الحديث وتشعب مقارباته المنهجية – كما يقول عبد السلام المسدي – جعله قطب الدوران في كل بحث لغوي مما لا ينفصل عن نظرية الإدراك وفلسفة المعنى.(٢٦) ولذلك بات علم الدلالة أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح.(٢٧)

ولكن هذه الإفادة لا تعني بحال من الأحوال إلغاء لأي ضرب من ضروب المعرفة اللغوية عند العرب كالنحو والصرف وفقه اللغة ومعطيات الدلالة والمعجم. بحجة التجديد أو مجاراة العصر، كذلك ينبغي التنبيه على أن أي استمداد من المناهج الحديثة لا يجوز أن يؤدي إلى تجاوز لخصوصية العربية الفصحى وما يحيط بها من ظروف تاريخية وحضارية وقومية.(٢٨)

وفي ختام حديثنا نقول: علينا أن نختار المنهج الدراسي السهل المباشر لدراسة اللغة العربية، ونوفر للطلبة المواد الدراسية الفعالة منذ المرحلة الأولى، مثل كتب القصص القصيرة وكتب القراءات الرشيدة الراشدة، ومختارات من الأشعار الرائعة والنثر الفني، ونعلمهم في المراحل المتوسطة الإنشاء وكتابة المقالات، والعروض والقوافي، والبلاغة والبيان، وتاريخ العرب وأدبهم، ولا نتجاهل توفير وسائل المتعة والجاذبية في طرق التدريس. فعلينا نشجع الطلبة:

- على المحادثة والخطابة، وعلى مطالعة الكتب الخارجية يعني غير كتب المواد الدراسية المقررة. وعلى تأسيس الجمعيات والنوادي لمن يرغبون في المحادثة والكتابة بالعربية، وعلى الاشتراك في مسابقات الخطابة الشفوية والتحريرية وكتابة المقالات في موضوعات محددة.

- وعلى قراءة الصحف والمجلات والجرائد العربية، لأنها تكون غنية بالمفردات المتنوعة: السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية والرياضية وغيرها مما يتعلق بالحياة المعاصرة.
- وعلى ترجمة النصوص العربية إلى اللغة المحلية وبالعكس، لأن الترجمة تعلم دارسي اللغة أنواعا من الثقافات البشرية.
- وعلى استخدام وسائل الأجهزة الإعلامية الحديثة. وعلى مشاهدة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات العربية. وذلك لتمرين اللسان العربي، ودراسة استخدام المحاورات وأساليب الحوار بالعربية.

المراجع والمصادر

١. محمد مندور (دكتور): الأدب والنقد، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، عام ١٩٨٨م، ص: ١٩

٢. محمد مندور (دكتور): الأدب وفنونه، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (بدون تاريخ)، ص: ٥٢

٣. رشدى أحمد طعيمة (دكتور): تعليم العربية لغير الناطقين بها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٨٩م، ص: ٣١-٣٢

٤. أحمد كمال زكي (دكتور): دراسات فى النقد الأدبي، دار الأندلس، بيروت، لبنان (بدون تاريخ)، ص:٣١

٥. أحمد الإسكندري ومصطفى العناني: الوسيط فى الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف بمصر، ص: ١١-١٢

٦. محمد رضا مروة (دكتور): الصعاليك فى العصر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٩٩٠م، ص:٧

٧. عبد الرحمن بدوي (دكتور): (ترجمة) "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٩٧٩م، والثانية عام ١٩٨٦م، ص: ١١٨

٨. ابن جني: الخصائص، جـ١، ص: ٣٩٢، وراجع أيضا أحمد أمين: ضحي الإسلام، النهضة المصرية، ط. ٨، عام ١٩٧٤م، جـ٢، ص: ٢٤٤

٩. عمر الدسوقي: النابغة الذبياني، مطبعة لجنة اللسان العربي، ط ٣، عام ١٩٥٤م، ص: ٣١

١٠. مقال العروبة والإسلام، محمد عمارة، مجلة الهلال، عدد نوفمبر، عام ١٩٨٣م، ص: ٣٢-٣٦
١١. عبد الرحمن بدوي (دكتور): دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص:١٢٠
١٢. المرجع السابق، ص: ١٢٠
١٣. جواد علي: "لهجات العرب قبل الإسلام" مقال نشر في كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) الصادر من مكتبة النهضة بالقاهرة.
١٤. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، جـ١، ص: ٤٢
١٥. شوقي ضيف (دكتور): العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ص: ١٣١
١٦. سعد ظلام (دكتور): من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي، دار المنار، القاهرة، عام ١٩٩٢م، ص: ١٢٥
١٧. أحمد الإسكندري ومصطفى العناني: الوسيط فى الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف بمصر، ص: ١٧
١٨. سيد أحمد التاصري: التاريخ القديم، ص: ٣٠
١٩. المرجع السابق، ص: ٣٣
٢٠. محمد زعلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص: ١٠١
٢١. رفعت زكى محمود عفيفي: من مظاهر النقد الأدبي عند العرب، ص: ١٢٠
٢٢. أحمد حاطوم: كتاب الإعراب، ص: ٢٠١-٢٠٣، وكذلك رياض عثمان (دكتور): العربية بين السليقة والتقييد، ص: ١٤٦
٢٣. أحمد محمد قدور (دكتور): مبادئ اللسانيات، ص: ٦-٧
٢٤. المرجع السابق، ص: ٥
٢٥. المرجع السابق، ص: ٦
٢٦. عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، ص: ٢١-٢٢
٢٧. أحمد محمد قدور (دكتور): مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٦م، ص: ٢٧٩
٢٨. المرجع السابق، ص: ٦